في بيتنا كلمة «البنك»، معرّفة وأليفة ولها رنين خاص، تكاد تكون مرادفة لأبي وجزءاً بالتالي من هويتنا، أو كأن عمل أبي في البنك سحب الأسرة كلها إليه لتصبح فرعا من فروعه. نقل إلينا أبي شعوره بقيمة البنك واعتزازه بالعمل فيه.

صباح يوم عيد ميلادي الخامس أبرز أبي عملات ورقية وسألني: ما هذا؟ قلت: فلوس! ابتسم كمن على وشك الكشف عن سر، قال: اسمها أوراق نقدية، عندما تتعلم القراءة ستعرف ما المكتوب هنا. أشار بسبابته إلى قوس مخطوط فوق صورة لتمثال فرعوني على الجنيه، قال: National Bank of Egypt، ثم حرك إصبعه إلى عبارة أصغر في أسفل الورقة، قال: البنك الأهلي المصري، كل ما في مصر من نقود، نحن نُصْدِرُه!

تطلعت في أبي كمعجزة لا تعقل وتستعصي على الفهم، ولكنها مؤكدة وملموسة تثير بضوئها المبهر الدهشة والاضطراب والتصديق وعدم التصديق: كل نقود مصر، كل ما فيها من جنيهات في حوزته، وهو الذي يعطيها للناس! بقيت متخشبا في مكاني رغم أشياء غريبة أشعر بها في صدري، كأنني صعدت السلم ركضا مرات متتالية.

ضحك أبي وأعطاني ورقة نقدية جديدة، قال: «كل سنة وأنت طيب، اعطها لأمك تدخرها لك مع ما تحفظه لك من نقود.»

لم يقل لي أبي ذلك اليوم أن أوراق النقد التي يصدرها البنك كانت تطبع في بريطانيا لدى شركة برادبري ويلكنسون وشركاه في مطابعها بمقاطعة ساري، ولم يشر لكاسل ولا للإخوان سوارس والعائلات اليهودية الأخرى التي تملك البنك، فهذه معلومات قد لا تكون مَرت بخاطره لحظتها، ولو وردت فما كانت بالمعلومات الصالحة لطفل في الخامسة من عمره يريد أبوه أن يمنحه بمناسبة عيد ميلاده هدية مزدوجة: مالا، واعتزازا بأهمية أبيه ومكانته، مكانة تعمقت في الخيال واستقرت بعد أسابيع قليلة حين اصطحبه أبوه إلى البنك.